الرأي العام

إن الرأي العام مظهر من مظاهر شعور الجماعة واللفظة اسم لمدلول غامض غير واضح يصعب جلاؤه على الرغم من وقوعه في الاذن ومتناول اليد وهو شبيه ببعض اصنام يعبدها العبّاد ويشيدون لها الهياكل ولا يدرون من امرها شيئاً ...

ان تفسير كلمة « الرأي العام » سهل جداً فالرأي العام هو رأيك ورأيي ورأي الآخر أو هو لا رأيك ولا رأيي ولا رأيهُ وانما هو رأي الجماعة كلها غير مجزأة ...

يتأثر الفردُ برأي الجماعة فيكوّن في نفسهِ عقيدةً ما يظنها وليدة تفكيره وينسى انها تفذت اليه من الخارج . وقد قال (لوبون) ان الذين تحوا من اثر الرأي العام في رأيهم الخاص لأقلاء جداً والانسانية مدينة لهم على قلتهم بالعمران والتقدم. وقد يستحيل حتى على العباقرة والنوابغ ان يتحرّروا من تأثير الوسط وفعل البيئة الروحية حيث ولدوا ونرعرعوا وشبّوا

وقد حاول الفيلسوف (ديكارت) ان يخرج على الافكار المقررة من قبل وان لا يقبل منها الاّ ما انتفى منه الشك ولكن ازهقت روحه ولم يظفر مبدؤه اذ أنهُ لم يقوَ او لم يجرؤ على اعلان تعاليمهِ الفلسفية المناقضة لآراء العصر الذي عاش فيه

***

ان معظم آرائنا تلقين وإيحاء لا استنباط وتأليف . وهب رأيك رأياً مبتدعاً فانك لتبقى ضعيف الايمان بصوابهِ حتى ترى انقياد الجماعة له او نفورها منهُ وتجد في هذا النفور تثبيطاً اي عدولاً عن الرأي وفي ذاك الانقياد تشجيعاً اي رسوخاً به

والرأي العام قسمان : قسم ننتهي اليه بالوراثة عن الماضي ذلك انهُ نشأ مع نشوئنا طائفة من الافكار والآراء والعقائد لم يكن لنا في بحثها ووضعها يد وانما قبلناها على علاتها فاستولت على عقولنا وتفكيرنا . وقد نصح (جان جاك روسو) النشء ان يعالج الامور وهو معتزل للناس سابح في فضاء من الحرية فسيح

والقسم الثاني هو تيار آراء البيئة التي نحوطنا فما يتركب هذا التيار ؟ ؟

انهُ يتألف من عوامل ثلاثة : المعرفة والمبادلة والعدوى الذهنيـة . فالمعرفة تجعل لرأي العام وزناً والمبادلة تديمهُ والعدوى كذلك

ولقد كان في صوت الرأي العام قديماً بحَّة اما اليوم فقد انطلق هذا الصوت والصحافة لسانهُ وهو لسان ذو حدين ينشر الحقائق ويذيع الاخطاء . وكما ان الورق مادة قابلة لالتقاط جراثيم العلل كذلك سطورها تنقل العـدوى الذهنية والمبادلة الفكرية بين الناس ان هدًى وان ضلالاً ! !

وفي الناس من يزدري الرأي العام ولا يعبأ بهِ ولا يهاب سلطانهُ وهؤلاء هم الاقوياء المستقلون فكراً ورأياً . ومنهم من يرزح تحت هوله ويخشى بأسهُ ورعوده وهؤلاء هم ضعاف النفوس . على أن (ماكس نورداو) يقول « انهُ لشجاع عظيم ذاك الذي يجاهر برأي شخصي مخالف للرأي العام وانهُ لمن الحماقة دوام المجاهرة برأي ثبت لصاحبهِ ان سعير الحرب بين هذا الرأي ورأي الجماعة لا ينفك مرتفعاً وان الخلاف قد يصير ابديًّا . . . »

ولا يخفى ان للمرأة شأناً عظيماً في ميدان الآراء فاذا كان بعض الافذاذ من الرجال يستطيع معاندة الرأي العام فان النساء لضعيفات كل الضعف في الوقوف في وجه تياره ومقاومة عواصفهِ وارياحهِ وهذا الضعف البشري يتجلّى في تأثير انتشار الازياء والخضوع خضوعاً تامًّا لسلطانها الموهوم

***

ان الشرائع من وحي الضمير وهي خير رادع للشر ولكن شوهد ان الرأي العام ينوب مناب الشرائع في البلدان الهمجية حيث لا شرائع موضوعة تردع الجاني وكثيراً ما يكون الخجل والحياء سبباً من اسباب نصر الفضيلة على الرذيلة

ويختلف الرأي العام باختلاف الاماكن والازمنة وباختلاف الهيئات الاجتماعية والدينية والاقليمية . اذ ان لكل طائفة من الناس عادات وعقائد متنوّعة

ثم انهُ كثيراً ما عاب الغربيون على الشرقيين انقيادهم لآراء الجماعة واستضعافهم امام قوة الرأي العام . فهل جهل الغربي ان ما من شعب تمتّص من كابوس الرأي العام معها عرق في العلم والحضارة وان قادة الرأي العام في كل مكان وكل زمان هم الذين فكروا وحدهم تفكيراً حرًّا وارتأوا رأياً مستقلاً وان سائر الناس يسيرون خلفهم ويتبعون خطواتهم ليس الاّ ؟ ؟ ! !

باريس توفيق وهبه